الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

اللّحن في اللغة العربية أسبابه، آثاره ومصنّفاته

The Solecism in the Arabic Language: Its Causes, Effects, and Workbooks

[أ] عبد القادر زرق الرأس ، [ب] د.محمد حاج هني
[أ] طالب دكتوراه، بكلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف -الجزائر- aek-zer@hotmail.com
وعضو بمخبر اللغة الوظيفية
[ب] أستاذ محاضر-أ- بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف -الجزائر- m.hadjhenni@univ-chlef.dz

ملخص

يسعى هذا المقال للتعريف بظاهرة اللحن في اللغة العربية؛ والتي تعد ظاهرة لسانية قبيحة تشوه المبنى وتفسد المعنى، والتي لم يتوقف تأثيرها عند حدود التواصل اللغوي فحسب، بل امتد تأثيرها إلى القرآن الكريم، ولاسيما بعد اختلاط العرب بالأعاجم، وهنا كانت الحاجة ماسة لوضع قواعد النحو والصرف؛ حفاظا على استقامة اللسان العربي من كل تحريف وتشويه، وفي هذا السياق يأتي هذا البحث ليعالج هذه الظاهرة اللغوية؛ من خلال تعريف اللحن لغة واصطلاحا، مع بيان أسباب انتشاره في العربية، وتحديد ما نتج عنه من آثار لسانية سلبية، مع رصد أهم المصنّفات التي وُضعت من طرف اللغويين العرب القدماء لمعالجة اللحن؛ نحو: "ما تلحن فيه العامة" للكسائي (ت189هـ)، و"إصلاح المنطق" لابن السّكّيت(ت244هـ)، و"لحن العوام" للزبيدي(ت379هـ)، و"درة الغواص في أوهام الخواص" للحريري(تَ516هـ)، وغيرها كثير؛ ممّا حفظ لنا قوانين اللسان العربي كما نطقه العرب الأقحاح، وحافظ على لغة القرآن الكريم صافية نقية على مر الأزمنة، وعليه سنحاول الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما أسباب تفشي ظاهرة اللحن؟ وفيم تتجلى آثارها على اللغة العربية الفصحى؟ وما هي أبرز المصنّفات العربية التي سعت لعلاجها؟

الكلمات الدالة: الاغتراب، الغربة، الإبداع.

Abstract

This article aims at identifying the Solecism phenomenon in the Arabic language. It is viewed as a bad linguistic aspect that deforms both the form and the meaning. In fact, it has not only affected the linguistic communication, but it has also extended to the Quran, especially after the Arabs got mixed up with other peoples (Persians and Barbarians). Thus, thinking of grammar constructing and developing was a necessity in order to preserve the Arabic tongue of every distortion. Therefore, this research attempts to deal with this linguistic phenomenon; by defining the Solecism linguistically and technically, pointing out the reasons of its spread in the Arabic language, identifying its negative linguistic effects, and by classifying the most important works that were developed by the ancient Arabic linguists to treat the Solecism, like; "The Errors Committed by Community" , by al-Qusayi (189H.), Ibn al-Skeit's "Correcting the Logic" (244H.), " People's Solecism", by Zebidi (379 H.) , and "The Diver's Pearl in the Illusions of the Privates ", by Hariri (516H.) … ect. Such workbooks preserved the pureness of the Arabic language which is the language of the Holy Quran over time.

Therefore, this paper comes to answer the following questions: What are the causes of the Solecism extension? What are its effects on the classical Arabic? And what are the most prominent Arab works that sought to treat it?

Keywords: *Solecism, Grammar, Correction, Language, Causes, Workbooks.*

مقدمة

اللحن ظاهرة سلبية، على اللغة العربية، تخوفها أبو الأسود الدّؤلي (ت69هـ) وغيره من النحاة واللغويين، فوضعوا قواعد النحو والصرف لصيانة اللسان وحفظ القرآن من التحريف والتصحيف وألفت لأجله الكتب، وصنّفت المصنفات لكون العربية لغة عزٍّ وشرف، جعلها الله لغة الوحي المنزل الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، فهي وعاء الشريعة الإسلامية، بها تعرف أحكام الله وتطبق أوامره ونواهيه، فلا يُفْهَم هذا الدين إلاّ باللسان العربي المبين، على حد قول مالك بن أنس (ت179هـ) رضي الله عنه: " لو صرت من العلوم في غاية ومن الفهم في نهاية فإن ذلك يرجع لأصلين: كتاب الله وسنَّة رسول الله- صلي الله عليه وسلم – ولا سبيل إليهما إلا بمعرفة اللسان العربي"[2].

هو لسان ميزه الله بميزة الإعراب، التي هي الإبانة عن المعنى بالألفاظ[3]، فالمعنى هو الجوهر المقصود، واللفظ هو لباسه الذي يبرز فيه، ووعاؤه الذي يحويه، لذا قيل: بين لي المعنى أبين لك الإعراب [4]، ومن ثم كان حفظ اللغة العربية من الخطأ والفساد واجبا دينيا، ومقوما شرعيا، تولى الله حفظه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[5].

كان اللسان العربي في بيئته العربية غضا طريا، لا تشوبه شائبة اللحن ولا التغيير، حتى اختلط بغيره من الألسن، واحتك بشعوب العجم من الفرس والروم وغيرهما، فنبتت نابتة اللحن فيه وفشت كالنار في الهشيم، حتى صار اللحن عادة معتادة لدى العام الخاص، من الإعلاميين والكتاب والمؤلفين، وغيرهم من عامة الناس، ولربما رُدَّ السالم الفصيح واسْتُسِيغَ اللحنُ القبيحُ، لانحراف الطبع وفساد الذوق.

1ـ تعريف اللحن

أـ لغة

ذكر ابن منظور(ت711هـ) لكلمة اللحن في اللغة ستة معانٍ اقتداء بابن برى (ت582هـ) وهي:" الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفطنة، والتعريض، والمعنى"[6].

ـ المعنى الأول: يراد بلفظ "اللحن" الخطأ في الإعراب بالعدول عن الصواب ومجانبته[7].

ـ المعنى الثاني: ورد اللحن بمعنى اللغة[8]؛ أي أن الفرد يتكلم بلغته الأصلية ولا يعدل عنها إلى غيرها، بل يعدل عن غيرها إليها، يقال: هذا ليس من لحننا أي: كلام خارج ومائل عن كلام لغتنا التي نتواصل بها ونفهم معناه فهو لحن؛ بمعنى لغة.

ـ المعنى الثالث: الغناء والترجيع بالصوت الحسن[9]، هو ألحنُ الناس إذا كان أحسنَهم قراءة أو غناء، وبه جاء الحديث: "اقرأوا القرآن بلحون العرب" [10]، ومنه المصطلح الشائع في الإعلام عندنا: ألحان وشباب، فكأنّ هذا يراد به الميل عن الصوت المألوف العادي إلى صوت تطريبي خاص بموسيقى صوتية منسجمة وترجيع حسن للمقاطع الصوتية والكلمات التركيبية، فهو لحن بمعنى غناء.

ـ المعنى الرابع: هو الفطنة والفهم[11]، غير أن الكثير من اللغويين يفرّق من الناحية الصرفية بين لَحَن بفتح العين، ولَحِن بكسرها فيجعل: لَحَن يَلْحَن لَحْناً: أخطأ في الصواب مصدره ساكن الحاء، وماضيه مفتوحا ويجعل: لَحِن يَلْحَن لَحَناً: الفطنة والفهم مصدره بفتح الحاء، وماضيه بالكسر مثل: فَطِنَ.

ـ المعنى الخامس: التعريض[12]، وبهذا المعنى فسر الألوسي (ت1270هـ) قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[13]، فقال:" لحن القول: أسلوب من أساليبه مطلقا، أو المائلة عن الطريق المعروف كأن يعدل عن ظاهره من الصريح إلى التعريض والإبهام[14]، وهذا المعنى التعريضي هو الذي ألف فيه ابن دريد (ت321هـ) كتابه "الملاحن" حيث جاء في الوسيط:"الملاحن مسائل كالألغاز يُحْتَاج في حلها إلى فطنة"[15].

وعطفا على ما سبق ذكره، فالعدول باللفظ إلى معنى فاسد قبيح جهلا، أو إلى معنى بلاغي صحيح قصدا كل منهما يطلق عليه لَحْناً، والثاني لحن بمعنى التعريض.

ـ المعنى السادس: يطلق لفظ اللحن ويراد به معنى ومضمون الكلام، وهو قليل بالنسبة لغيره في الاستعمال، "اللحْنُ الذي هو المعنى والفحوى كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي في فحواه ومعناه"[16]، فهذه مجموع المعانَي التي حُملَ عليها لفظ اللحن في اللغة وإن كان البعض يُحصرها في الخطأ الإعرابي والتعريض كالأصفهاني (ت350هـ)، وابن فارس(ت395هـ) يرى أن اللحن يعني فحوى الكلام، وإزالة الإعراب عن جهته، والفطنة[17].

بـ اصطلاحا

يعد اللحن عيبا لسانيا يقوم على" تحريف الكلام عن قواعد الصرف والنحو، كما يقوم على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم"[18]، هذا التعريف يحصر اللحن في معناه الانحرافي والميل عن الصواب، إلى الخطأ في النطق والكتابة وعدم الالتزام بقواعد الصرف والنحو، وإنْ غلب إطلاقه على الأخطاء الإعرابية أكثر من الأخطاء الصرفية واللغوية

العامة عند المتأخرين.

والميل هو المعنى المحوري الذي تندرج تحته كل معاني لفظة" اللحن"[19]، كما قال عبد الفتاح سليم، وإن حصرها الاستعمال الحديث في معنيين هما: الغناء والخطأ اللغوي فقط[20]، فاللحن خلاف الصواب في الكلام والقراءة والنشيد[21]؛ إذ هو الخطأ في الإعراب ومخالفة وجه الصواب في سائر قواعد اللغة العربية، فإن كان عن جهل وعدم دراية بالقواعد فهو اللحن القبيح المذموم، وقد يصل إلى حد الهُرَاءِ وهو كثرة الكلام في الخطأ، وإن كان عن خطأ وفلتة لسان فهو غير مذموم لأنه يُتَدارك في الغالب ولا يكاد يسلم منه أحد، فلكل جَواد كَبْوَة، ولكل مُصَنِّف هَفْوَة كما يقال.

ومن أمثلة اللحن القبيح ما قال ابن مكي الصقلي (ت501) يقولون في جمع مِرْآة : أمْرِيَة، والصواب: مَرَاءٍ، على وزن مَعَانٍ، والكثير: مَرَايَا[22].

وقول الحريري (ت516) قولهم: مَبْيُوع ومَغْيُوب، والصواب أن يقال فيهما: مَبِيع ومَغِيب على الحذف[23].

ويستشهد الحريري بقوله تعالى ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾[24]، يعني أصلها مَشْيُود.

2ـ المصطلحات المقاربة للحن

أـ التصحيف

وهو من صَحَّفَ يُصَحِّفُ تصحيفاً، يطلق على من أخذ العلم من الصُّحُف دون شيخ فأخطأ الصواب كمن قرأ " الحبة السوداء " بقوله " الحية السوداء "، ومنه المُصَحِّف والصَّحَفِيّ: الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف، مُوَلَّدَة ... والتَّصْحِيف: الخطأ في الصحيفة[25]؛ فكأنه مصطلح تهكمي بأن صاحبه أخذ علمه عن الصحف والأوراق ولم يجلس إلى الشيوخ ويأخذ العلم من أفواه الرجال كما يقال، ويَفْهَم المصطلحات التي هي مفاتيح العلم والفهم، وجاء في الإفصاح:"المُصَحِّفُ الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف باشتباه الحروف " [26] فهو مصطلح يتداخل مع اللحن من حيث الخطأ وعدم الصواب في كل غير أن اللحن أعم منه، وفي علم البديع التصحيف: الإتيان بلفظتين متفقتين في صورة الأحرف مختلفتين في التنقيط ، نحو " المغتر " و"المعتز " و"يفي " و "يقي "[27].

بهذا التعريف يكون التصحيف مصطلحا بلاغيّا وفنّا من فنون البديع وتزيين اللفظ وإن كان عند الإطلاق لا يصرف لهذا المعنى البلاغي بل يصرف للتصحيف المشهور الذي هو قراءة القارئ على خلاف ما أراد الكاتب، ذكر الشيخ محمد بلكبير– رحمه الله – في مقابلة تلفزيونية معه: أنّه من أخذ النحو من الكتب لحن في الكلام، ومن أخذ الفقه من الكتب غير في الأحكام، ومن أخذ العقيدة من الكتب مرق من الإسلام، ومن أخذ الطب من الكتب قتل الأنام، وإنّما العلم بالتعلم، أي عِلْمُنَا: فلان عن فلان، وقراءة الكتب توسع ذلك وتنميه.

بـ التحريف

فهو تحريف الكلام عن مواضعه قصدا أو جهلا، ويتداخل مع التصحيف في حال الجهل، وقد يكون عن عمد كما قال الله عن أهل الكتاب: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[28] وهذا حَدَثَ عن قصد منهم وبهتان، لا عن خطأ ونسيان، فالتحريف ميل بالمعنى كاللحن.

3ـ بداية ظهور اللحن

اللغة ظاهرة صوتية يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي تكتسب بالتلقين والمحاكاة من العصر والمصر الذي يعيش فيه الإنسان، حتى تصبح ملكة راسخة لدى الشخص يتواصل بها مع بني جنسه ومحيطه، وذاك شأن المجتمع العربي الذي عاش متواصلا بلسان عربي مبين، خالص من الشوائب اللحنية واللُّكْنة الأعجمية، منزوٍ على نفسه في بيئته الخاصة، حتى شرع الله الإسلام ودخل الناس في دين الله، واختلطت العربية بغيرها من اللغات الأعجمية، دَبَّ اللحن إلى الوسط العربي، وصار يفشو وينتشر شيئا فشيئا إلى أن شاع وذاع ودخل بيوت العلماء والأمراء.

ومما هو جدير بالذكر أنّ العربي جماله في لسانه، به يناظر ويفاخر ولأجل ذلك كانت تُعْقَدُ المجالس والمحافل في الأسواق، يتبارى فيها الشعراء والخطباء الشعر والنثر الفصيح، ويستهجنون اللحن ويستبشعونه من أيّ كان حتى نقل عن ذمّ اللحن:" أن رجلا لحن بحضرة النبي صلي الله عليه وسلم، فقال: "أرشدوا أخاكم" ، وفي رواية : أرشدوا أخاكم [29] فقد ضل . فهذا إنكار للحن حيث جعله تيها وضلالا عن طريق الصواب المعلوم، وكذا نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه "أنّ رماة أخطأوا في الرمي، فقال لهم: سووا رميكم، فقالوا نحن متعلمين بالياء، فقال : لحنكم عليّ أشد من سوء رميكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رحم الله امرأً أصلح من لسانه" [30] ، والعرب يعدون البيان تَرْجُمَان العلم على حد قول الجاحظ[31].

ذاك شأن العرب مع الفصاحة والبيان واستهجان اللحن واللحّانين في صدر الإسلام، الذي شرف بمعجزة القرآن وفصاحته، واستمر الحال نفسه في الخلافة الرشيدة، وكذا الدولة الأموية التي وصفت بالقومية العربية، لكن بعد اتّساع الرقعة الإسلامية، تغير الحال، وبقي اللحن مستقبحا عموما لدى ولاة الأمر من الخلفاء والعلماء، لأنّهم مسؤولون عن سلامة الدولة وصيانة لسان قومها[32].

ومع حلول العصر العباسي حصل الانفتاح الحضاري الإسلامي على الشعوب الأعجمية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ووصل اللسان الأعجمي إلى دواليب الحكم ومجالس العلم عن طريق الموالي والبرامكة ونحوهم، فشاع اللحن حتّى صار عادة معتادة بين العامّة والخاصّة، حيث قال أحد المحدثين: ما إن يُحُلُّ القرنُ الرابع – الهجري- حتى نجد اللحن في اللغة أمرا مألوفا يوشك أن يكون غير معيب في أوساط المثقفين[33]، هذا بين المثقفين فكيف بين العوام ومن لا شأن لهم باللغة والدين؟ ومنذ ذلك الحين والعامية تبسط نفوذها على الفصحى، وتزداد شيوعا وذيوعا إلى يومنا.

4- أسباب ظهور اللحن

كان لسبب ظهور اللحن في اللغة العربية عواملُ عدة نذكر منها:

أ- اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب الأعجمية، فالإنسان إلْف مَألوف بطبعه يؤثر ويتأثر مهما احترز وتحفظ، وهذا ما حدث يوما للفراء (ت207هـ) الذي لحن بين يدي هارون الرشيد فرد عليه هارون فقال: "يا أمير المؤمنين إنّ طباع الحضر اللحن، فإذا تحفظتُ لم ألحن وإذا رجعت إلى الطبع لَحَنْتُ"[34]، كان هذا في حق الفراء الذي قيل عنه: "لولا الفراء لما كانت عربية"، وكان في النحو نسيج وحده وفي اللغة بحرا "[35]، فكيف بغيره من العوام وغير المنشغلين بحفظ اللسان ؟ والناس أسرى ما ألفوا كما يقال.

ب- كثرة الموالي والجواري وأمهات الأولاد في الأسر العربية والإسلامية عموما، وفي هذا السياق يقول الجاحظ (ت255هـ): " كانت في عبيد الله ابن زياد – لكنة لأنّه كان نشأ بالأساورة – عجم – مع أمه مَرْجَانَة"[36]؛ وهي أم ولدٍ لزياد، فبسبب هذه الجارية أصبح اللحن في بيت زياد بن أبيه قائد من قادة المسلمين مشهور بالفصاحة والبيان، وهو صاحب الخطبة البتراء، الذي يضرب به المثل في طلاقة اللسان، وهو لا يقل شأنا عن الفرّاء في حفظ اللغة وصيانة الرأي العام، ومع ذلك دَبَّ اللحنُ إلى بيته عن طريق جاريته وأم ولده الأعجمية.

ج- التعصب العرقي والنزعة الشعوبية والصراعات الحزبية، مع توسع الرقعة الإسلامية وكثرة الأعاجم في المجتمع العربي بدأت تضمحل المكانة الرفيعة للعرب والعربية، بسبب الصراعات الحزبية والمصالح الشخصية والنزعة الجهوية.

فليس غريبا عندما نجد أبا عبيدة معمر بن المثنى كان إذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه، وإذا تحدث أو قرأ لحن اعتمادا منه لذلك ويقول: النحوُ محدودٌ [37] ، لأننّا نجد الذهبي(ت748 هـ) يترجم له بالقول: "المولى التيمي البصري...كان يبغض العرب، وألف في مثالبها كتبا، وكان يرى رأي الخوارج"[38]، فلا غرابة أن يتعمد اللحن لنزعته العرقية ووجهته الحزبية التي يميل إليها، والمهم أن هذه العصبية هي إحدى أسباب شيوع اللحن في الوسط العربي سواء كانت عفوية أو قصدية.

د- تساهل الأمراء والوجهاء في التحدث باللحن، بل ربّما التمس له وجهة صواب وبحث له عن تبرير فهو يُصِرُّ على لحنه ويأبى أن يعود إلى الصواب، استحياء أو أنفة واستكبارا أن يقال: لحن، ويطلب من النحاة أن يلتمسوا للحنه وجها صحيحا[39].

إذاً أصبح للحن رواج وذيوع وحماية من كبار القوم، حتى وصلوا بالنحو إلى حال لا يعجز فيها المخطئ عن قول يبرر به وهمه، وحجة يؤيد بها زعمه[40]، وضايق اللحنُ الفَصَاحةَ والإعراب وصار به يُقرأُ ويكتبُ وهو في كل ناد يخطب، ولكن كما يقال: ربّ ضارة نافعة، فقد كان للحن آثاره السلبية على لغة الضاد، وإلى جانب ذلك كانت هناك آثار ايجابية أيقظت الهمم وحركت العزائم ودفعت العلماء إلى خدمة اللغة العربية خدمة جليلة.

5- آثار اللحن وطرق العلاج

كان لظهور اللحن في الوسط العربي آثار سلبية، شوّهت السليقة العربية والذوق السليم، فاستسيغ نطق مالا يَتَوافَق مع سَنَنِ الكلام العربي وقواعد لغته، ممّا دفع العلماء إلى التفكير في كيفية صون لغة القرآن من التحريف والتزييف، فانبعث جمع منهم إلى هذه المهمة فأصبحت آثارا إيجابية خدمت اللغة العربية أيما خدمة.

فقام أبو الأسود الدؤلي (ت69هـ) بنقط المصحف الشريف "نَقْط إعراب"، بمداد يخالف مداد الكتابة في مواضع من الحرف الأخير في كل كلمة تختلف باختلاف الفتحة والكسرة والضمة[41]، ليحفظ لِلُغة القرآن إعرابَها، ويصونَ جمالها من ظاهرة اللحن التي صارت تنتشر، وتُسْمَع في كتاب الله وعلى ألسنة النّاس.

ثم أتمّ عملَ أبي الأسود فيما بعد تلميذُه نصر بن عاصم الليثي (ت89هـ) بنقط المصحف الشريف؛ نُقَطَ المُعْجَم لَمَّا احتاج الأعجمي إلى علامة يفرق بها بين الصوت والصوت الآخر المشابه له خطا والمخالف له نطقا مثل : ج،ح،خ ، ونحو ذلك [42]، ولكنّها ربما التبست نقطةُ المعجم بنقطة الإعراب، مما جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) يغير نقطة الإعراب بشكل مأخوذ من الحروف " فالفتحُ شكلةٌ مستطيلة فوق الحرف، والكسرة كذلك تحته، والضمُ واو صغرى فوقه، والتنوين زيادة مثلها" [43] ، وبه ضُبِطَ النطقُ السليم والقراءة الصحيحة لألفاظ العربية، وتلاوة المصحف الشريف، واكتملت الصورة اللفظية بنقطها المعجمي في مفرداتها، وشكلها الإعرابي في بنائها وتركيبها النحوي على يد الفراهيدي (175هـ)، ثم جاء دور تلميذه سيبويه (ت180هـ) في موسوعته النحوية "الكتاب" والذي استطاع أن يجمع فيه القواعد ويرتبها، ويعقد أبوابا يجمع فيها أشقاءها من المسائل النحوية، فاعتبر بذلك الكتابُ أوّلَ كتاب لتدوين النحو العربي وصل إلينا بهذه الصورة الكاملة [44]، والتي ضبطها باستقراء كلام العرب واستخراج المنوال الذي يبنون عليه كلامهم ويزنون به لغتهم، ومن شاء أن يبني بعدهم على منوالهم فليفعل، "وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"[45].

وهي جهود جبارة وآثار إيجابية كانت الانطلاقة فيها بسبب ظاهرة اللحن، حتى قيل عن إمام النحاة سيبويه (ت180هـ) أنّه طلب النحو بسبب قصة لَحْن[46]، حتى كان من شأنه ما كانَ ووضع للنحو ديوانا، وهي الأَرضية التي بنيت عليها الحركة الفكرية، وأنشئت المدارس النحوية في البصرة والكوفة غيرهما.

أضف لهذا وجود أثر نفعيّ هو حركة جمع اللغة وتدوينِها في معاجم تَحْصِي هذا الرصيد اللغوي المكنون في اللسان العربي بجميع أطيافه وقبائله وقراه، فقام بذلك جمع من العلماء، على رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، هذا العبقري الفذ الذي درس اللغة على مستوى الصوت، الحرف والمقطع، العروض، والكلمة، المعجم، والتركيب، النحو، فاخترع للغة معجما شاملا سماه "العين" ووضع للنحو قواعد جَعَلَتْ منه عِلْماً قائما[47]، نشره تلامذته من بعده فصار عمله مصدرا للمعاجم

اللغوية والمدارس النحوية من بعده، وأصبح في وسعهم أن يحفظوا كيفية اللغة من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا [48].

فاقتدى به مَن بعده وجمعوا معاجم للغة كابن دريد (ت321هـ) بكتابه " الجمهرة " وقصيدته " المقصورة " أحصى كَمًّا هائلا من المادة اللغوية والمفردات المعجمية، وهو لا يقلّ شأنا عن الخليل كما يقول المسعودي:" انتهى في اللغة ، وقام مقام الخليل فيها، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين، وكان يذهب في الشعر كل مذهب "[49].

واشتملت مقصورته على كثير من الحِكَم والأمثال والمعلومات التاريخية والمفردات اللغوية في باب المقصور قال ابن هشام اللخمي: وقد حفلت مقصورة ابن دريد بثلث المقصور في اللغة [50].

والعمل نفسه قام به أحمد ابن فارس (ت395هـ) بكتبه – مقاييس اللغة، والصاحبي في فقه اللغة، ومجمل اللغة – هذا الأخير هو أوّل معجم رُتِّبَتْ مفرداته ترتيبا ألفبائيا، فوضع اللبنة الأولى في صرح عمل المعجمات بهذا الترتيب[51]، الذي يضبط المفردات اللغوية بدقة، ويسهل الطريق على الباحث في المعجم، وهي الطريقة التي اعتمدت واتبعت في وضع المعاجم إلى اليوم .

وأخْذاً بالأحوط، قَصَروا بناء القاعدة القياسية على لسان قبائلَ معنية حصرها السيوطي في قبيلة " قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض طَيِّيء"[52]، وذلك لبعد هذه القبائل عن الاحتكاك بالعجم، والاختلاط باللسان الأجنبي الدخيل الذي وَرَّثَ اللحنَ .

6ـ مصنفات اللحن

إذا كانت ظاهرة اللحن دفعت جمعا من- علماء النحو- إلى القيام بوضع الضوابط والقوانين القياسية التي على أساسها يكون الكلام صحيحا مستقيما والمعنى سالما مفهوما، فإنّ بعضهم الآخر- من علماء المعاجم- قام باستقراءٍ وتتبع لكلام العرب، وجمع مفرداته في معاجم محفوظة لتكون ذُخيرة ورصيدا مصونا، وكنزا مكنوزا، لمن جاء بعدهم ينتفع به دون تعب ولا نصب، وفريقا ثالثا-علماء التنقية- قام هو الآخر بمهمة التأليف والتصنيف في ظاهرة اللحن، لحصرها وحفظ اللغة الفصحى من عدواها ورطانة شؤمها، فبذل جهدا لا يقل شأنا عن جهد سابقيه، إذ ألف بعضهم مصنفا يجمع فيه لحن العوام، ويبين الصواب من الخطأ في الكلام، وذلك مثل الكسائي (ت189هـ) بكتابه "ما تلحن فيه العامة"، والفراء(ت207هـ) بكتابه " البهاء فيما تلحن فيه العامة للفراء"، وأبي عبيد(ت224هـ) بكتابه "ما خالفت العامة فيه لغات العرب" والسجستاني (ت255هـ) بكتابه " لحن العامة"، وغيرهم.

وألف البعض الآخر في لحن الخاصة من أهل العلم والثقافة، كأبي هلال العسكري (ت395هـ) بكتابه "ما تلحن فيه الخاصة"، والحريري(ت516هـ) بكتابه: درة الغواص في أوهام الخواص" وغيرهما، وبعضهم بيّن الخطأ من الصواب عموما كابن السِّكّيت (ت244هـ) في كتابه "إصلاح المنطق"، وابن قتيبة (ت276هـ) في "أدب الكاتب"، وقد أحصى لنا عبد الفتاح سليم في كتابه "موسوعة اللحن" أزيد من سبعين مصنفا في هذا الشأن، ورتبها ترتيبا زمنيا حسب وفاة أصحابها بداية من القرن الثاني الهجري إلى العصر الحديث، وهي مصنفات جلها موجود، وبعضها مفقود لم يَعْثُر المؤلفُ عليه.

7ـ المنهج المتبع في تصنيف اللحن

نهج مصنفو هذه الكتب نهجين من حيث ضوابط الخطأ والصواب :

أ- فريق متشدد وقّاف عند النص المسموع المطرد يجعله ضابطا للصواب، وما خالفه فهو لحن وخطأ، وان سمع من عربي يحتج بعربيته فهو شاذ أو قليل يحفظ ولا يقاس عليه.

من أهل هذا النهج: الأصمعي، والسِجِسْتاني، وثعلب، والزبيدي، والحريري، والجواليقي، وابن الجوزي، وغيرهم، فمثلا: يقول السجستاني: كان الأصمعي يقول أفصح اللغات ويلغي ما سواها،...فهو يقول: حَزَنَني الأمرُ يَحْزُنُني ولا يقول : أَحْزَنَني (يُحْزِنُني) قال أبو حاتم: وهما جائزان، لأن القراء قرأوا: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾[53]، و(لا يُحزِنهم)[54]، فالأصمعي لا يجيز أَحْزَنَ يُحْزِن مع وروده.

ب- وفريق ميسر متساهل يقبل ما سُمِع ولو قَلّ أو نَدَر، نكر منهم:أبا زيد الأنصاري، وابن مكي الصِّقِلِّي، وابن السيد البَطَلْيَوسي، وابن هشام اللخْمِي، يقول أبو حاتم السِّجِسْتَاني: أبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحدا، فيجيز كل شيء قيل [55] أي سم، وأفرد ابن مكي الصِّقِلِّي (ت501هـ) أفرد في كتابه "تثقيف اللسان وتلقيح الجنان" عنوانه ما تُنْكره الخاصة على العامة وليس بمنكر[56]، من ذلك قولهم: مُعَوَّج أنكره الأصمعي، وهو جائز، يقال: مُعْوَجّ، وقيل مِعْوَجّ بكسر الميم، ومُعَوَّج أجازه أكثر العلماء [57] .

وبنى ابن هشام اللخمي (ت577هـ) كتابه "المدخل إلى تقويم اللسان "بنى نهجه على الاتساع والتساهل، وعقد جزءا منه للرد على الزبيدي وابن مكي فيما لَحَّنَا فيه العامةَ وهو يراه جائزا مثل قوله عن الزبيدي:"يقولون للحظيرة تكون في الدار: حَيْر، والصواب: حائر"[58].

قال الراد:- ابن هشام - ...الحائر: حوض يُسَيَّبُ إليه الماء من الأمطار، يسمى بهذا الاسم بالماء وغيره...وأكثر الناس يسميه: الحَيْرَ، كما يقولون لعائشة: عيشة [59] ؛ أي: تخفيف جائز.

خاتمة

بعد تتبّع ظاهرة اللحن في اللغة العربية توصل البحث إلى النتائج التالية:

- اللحن ظاهرة سيئة تفشّت في البيئة العربية بشكل فردي ثم شاعت وذاعت على نطاق واسع.

- العلماء العرب لم يَغفَلوا عن اللحن فمنذ بداية ظهوره انطلقوا في التصحيح والتوضيح.

- اللحن والخطأ والتصحيف والتحريف مفردات تتداخل فيما بينها وتعني الميل عن الصواب.

- من أسباب ظهور اللحن في الوسط العربي الاختلاط بالعجم وكثرة الموالي والتعصب الشعوبي وغيرها

- من آثار ظهور اللحن، انطلاق الحركة التصحيحية، ووضع القواعد اللغوية، وتأليف المعجمات العربية.

- قام بعض العلماء بتصنيف كتب في اللحن تضبط الصواب من الخطأ في التداول الاستعمالي للغة العربية .

الهوامش

1- سورة فصلت، الآية :42 .

2- حاشية ابن الحاج على شرح متن الأجرومية، خالد الأزهري ،دار الفكر بيروت، د ط، د ت، ص: 08 .

3- لسان العرب، ابن منظور، تح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط 1، 2010م، مادة : عرب ، الجزء : 06 صفحة: 87.

4- حاشية ابن الحاج على شرح متن الأجرومية، خالد الأزهري، ص: 25.

5- سورة الحجر، الآية: 09.

6- لسان العرب، ابن منظور، ج8، ص:41.

7- المصدر نفسه، ج8، ص:42.

8- المصدر نفسه، ج8، ص: 40.

9- المصدر نفسه، ج8، ص: 40.

10- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار المعرفة بيروت، د ط ، د ت، ج1، ص: 142، نقلا عن الطبراني والبيهقي.

11- لسان العرب، ابن منظور، ج8، ص:40.

12- ينظر: المصدر، ج8، ص: 42.

13- سورة محمد، الآية: 30.

14- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار الفكر بيروت، د ط ، سنة: 1983، ج26، ص : 77.

15- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهرة، ط2، سنة 1972، ج2، ص: 872.

16- لسان العرب، ابن منظور، ج8، ص: 42.

17- مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 2، سنة1986م، مج2، ص:804.

18- المعجم المفصل في علوم اللغة (اللسنيات)، محمد التنوجي وراجي الأسمر، تح: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، سنة: 2001م، ج1، ص : 497.

19- ينظر: موسوعة اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، سنة 2009م، ص: 10.

20- ينظر: المرجع نفسه، ص: 11.

21- الإفصاح في فقه اللغة، عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، سنة 1987م، ص:102.

22-تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1990، ص:150.

23- درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي الحريري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، دط، 2009، ص:54.

24- سورة الحج، الآية: 45.

25- لسان العرب، ابن منظور، ج5، ص: 206-207.

26- الإفصاح في فقه اللغة، عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى ، ص: 103.

27- المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التنوجي وراجي الأسمر ، ج1، ص: 177.

28- سورة النساء، الآية:46.

29- ينظر: كتاب الحلية، يوسف بن محمد بن عنترة، تح: مصطفى بن حمزة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ، ط 1، سنة : 2005م ، ج2، ص: 35.

30- حاشية ابن الحاج على شرح متن الأجرومية، ص: 08.

31- ينظر:البيان والتبيين للجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت ، د ط ، د ت ، ج1، ص: 77.

32-ينظر: موسوعة اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، عبد الفتاح سليم، ص: 30.

33- ينظر: المرجع نفسه، ص: 76.

34- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي ، دار الفكر بيروت ، ط 1، سنة 1979، ج2، ص: 19.

35- ينظر: المرجع نفسه، ص:19.

36- ينظر: البيان والتبيين للجاحظ، ج2، ص : 210.

37- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خَلِّكَانِ، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، د ط، سنة :1972، ج5، ص : 238.

38- ينظر: العقد الثمين في تراجم النحويين للذهبي، تح: يحيى مراد دار الحديث القاهرة، د ط، 2004م، ص: 24-25، والمعارف لابن قتيبة، تح: ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 6، سنة 1992، ص: 543.

39- ينظر: موسوعة اللحن في اللغة، عبد الفتاح سليم، ص: 24.

40- ينظر: تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة بيروت، ط 6، سنة 2000م، ص: 267.

41- ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج2، ص: 218، وكذا المدارس النحوية، التواتي بن التواتي، دار الوعي الجزائر، ط 2، سنة: 2008م، ص: 07.

42- ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص:218.

43- المرجع نفسه، ج2، ص: 219.

44- المدارس النحوية، التواتي بن التواتي، ص: 63.

45- الاقتراح، جلال الدين السيوطي، إشراف: توفيق شعلان، المكتبة التوفيقية القاهرة، د ط، سنة 2003، ص: 93.

46- ينظر: نظرية اللغة العربية، عبد الملك مرتاض، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، د ط، 2012م، ص: 502.

47- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد أباه، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بيروت، ط1، 2001م، ص:87.

48- ينظر: المرجع نفسه، ص: 82.

49- مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، د ط ، سنة1990، ج4، ص:391.

50- الفوائد المحصورة في شرح المقصورة، محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، تح: محمد حامد الحاج خلف، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، ط 1، سنة 2007، ج1، ص: 34.

51- مجمل اللغة، أحمد بن فارس، ج1، ص: 07.

52- الاقتراح، جلال الدين السيوطى، ص: 58.

53- سورة الأنبياء الآية: 103.

55-ينظر: التصحيح اللغوي ومباحثه، دراسة في منهج أحمد مختار في معجم الصواب اللغوي، مختار درقاوي، ألف للوثائق قسنطينة الجزائر، ط1، 2017، ص:21-22.

56- المرجع نفسه، ص:21.

57- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي، ص:186.

58- المرجع نفسه، ص191.

59- ينظر:لحن العوام، أبو بكر الزبيدي، تح رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، سنة 2000، ص156.

60- ينظر: المدخل إلى تقويم اللسان، ابن هشام اللخمي، تح حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية بيروت، ط1، 2003، ص:34.